اسم المادة: تحصيل لذة القرآن ج٣

من سلسلة: مختصر منهاج القاصدين

لفضيلة الشيخ: محمد حسين يعقوب

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: تحصيل لذة القرآن ج٣
من سلسلة: مختصر منهاج القاصدين
لفضيلة الشيخ: محمد حسين يعقوب
رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-1864.htm

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله أحمده –تعالى– وأستعينه وأستغفره، وأعوذ بالله –تعالى– من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد، اللهم بارك على محمدٍ وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد.

إخوتي في الله والله أنا أحبكم في الله، وأسأل الله –جل جلاله– أن يرزقني وإياكم الإخلاص في القول والعمل، وأن يرزقنا وإياكم الصدق في طلب الإخلاص، اللهم ارزقنا الصدق في طلب الإخلاص، اللهم اجعلنا من عبادك الصادقين المخلصين.

أحبتي في الله لعل سائلًا يتساءل بعد مضي أربعة وعشرين يوم على المدرسة، مدرسة الربانية هذه هي الحلقة الرابعة والعشرون من كتاب مختصر منهاج القاصدين في فرع التزكية، لعله يتساءل يا شيخ طب ما تنزل الموضوع مرة واحدة واحنا نبقى نسمعه براحتنا، ليه كل يوم نص ساعة، نص ساعة كل يوم؟ وأنا أقول أنه ليس المقصود مرة واحدة وتقول أنا عندي شرح مختصر منهاج القاصدين لمحمد حسين يعقوب؛ مقصود تربية، المدرسة دي مفتوحة عشان التربية، بنتربى نص ساعة بنص ساعة، عشان كده النهاردة أول حاجة خطرت ببالي إن أنا أسألك أحوالك إيه مع ربنا؟ احنا اتكلمنا عن تحصيل لذة الصلاة أو عن تحقيق أسرار الصلاة أو حضور القلب في الصلاة، بقيت تصلي صح ولا لا؟ هو كلام وخلاص؟! تربية، احنا هنا بنربي بتصلح صلاتك ولا لأ؟ عندك الإنصاص؛ إنصاص الساعات دي تسمع نص نص وركز فيه وروح نفذ، بقالنا النهاردة خامس حلقة دي في موضوع القرآن، نفذت ولا لا؟ طبقت ولا لا؟ بتقرأ صح دلوقتي ولا لا؟ ما احناش في محل بقى ناس عوام بندعوهم، وتقول لي طب أنت بتزعق لي ليه ما تتكلم بالراحة؟ لأ، ده أنت راجل بتتربى أزعق لك وأديك على دماغك، في إيه؟ عملت أي في اللي أنت سمعته عملت إيه؟ بقيت تقرأ قرآن وتتلذذ، قعدت تدور على اللي أنا قولت لك عليه في الميادين والمقاصير والحاجات اللي قلت لك عليها في القرآن؟ دورت ولا مادورتش؟ لقيت ولا مالقيتش؟ عشت ولا ماعشتش؟ حسيت ولا لسه؟ هتحس إمتى بقى؟ خلصنا ٨ نقط من مسألة أسرار القرآن وتلاوته، التمانية دول عملوا فيك إيه؟ عايز أتأكد مرة تانية إن جابوا نتيجة معاك.

قولنا نمرة واحد: فهم عظمة الكلام، اتنين: التعظيم للمتكلم، تلاتة: حضور القلب، أربعة: التدبر، خمسة: التفهم، ستة: التخلي عن موانع الفهم، سبعة: التخصيص ودي اللي احنا واقفين عليها سبعة مش كده؟ ولا دخلنا للتأثر؟ سبعة التخصيص، وتمانية: التأثر.

سبعة التخصيص أن يبقى الكلام ده نازل لك خصيصًا، ربنا –سبحانه وتعالى– يقول: "يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ" التوبة:٦٤. تقول: يا رب استر يا رب، تبقى خايف كده أحسن تلاقي آية بتتكلم عنك؟ التخصيص؛ لما تقرأ: "وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا" الأنعام:٢٥. تقول: آه يا رب اكشف الوقر عن أذاني، وارفع الغل عن قلبي، تخصيص، بعد التخصيص التأثر وعمالين نتكلم في التأثر كلام طويل وكتير قولنا: عند الوعيد وتقييد المغفرة يشعر بالتضاؤل، يتضاءل خيفةً حتى يكاد يموت، وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير، عند ذكر عظمة الله وصفاته يتطأطأ خضوعًا لجلال الله واستشعارًا لعظمته، عند وصف النار ترتعد فرائسه، عند وصف الجنة يشتاق وينشرح لها صدره.

قولنا إن فيه ناس ماتت عند سماع آية، زرارة بن أبي أوفى صلى بالناس المغرب فقرأ: "فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ" المدثّر:٨. فخر ميتًا، مات وهو بيصلي هو بيقرا في صلاة المغرب في القبلة، عمر بن الخطاب كان يسمع آية يمرض ويعوده الناس تلات أيام، القرآن عمل إيه في قلبك؟ تأثر، بتتأثر ولا لأ؟

وكانت المهم في آخر حاجة قلناها قول الله –عز وجل–: "وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ" البقرة:٧٨. إذا كانت الأمية المنتشرة في مجتمعاتنا وصمة عار علينا، فإن عدم تَكَوُّنِ القمة المفكرة الطُلَعَة –الإمام البخاري عنده باب فضل الطليعة– عدم تكوُّنِ القمة المفكرة الطُلَعَة أخطر من الأمية البسيطة؛ لأن مشكلتنا مشكلة أميةٍ مركبة، ومن هنا كان اعتبار القرآن أن الأمية ليست فقط أمية القراءة والكتابة، بل أمية أفكار وذلك في قوله –تعالى–: "وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ" أي لا يعلمون الكتاب إلا تلاوةً فقط، كما قال بعض أهل التفسير، قال ابن تيمية عن ابن عباس وقتادة في قوله: وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ أي غير عارفين بمعاني الكتاب يعلمونها حفظًا وقراءةً بلا فهم، ولا يدرون ما فيها، وقوله: إِلَّا أَمَانِيَّ أي تلاوة، فهم لا يعلمون فقه الكتاب إنما يقتصرون على ما يسمعونه يُتلى عليهم. دي الأمية المركبة وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ هو أميّ ولا يعلم أنه أميّ، أمية مركبة زي اللي احنا بنقول عليها الجهل المركب، والجهل البسيط. "وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ" إلا تلاوة، عمال يقول: "الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ..."، بس رص ولا فاهم حاجة.

ولذلك قيل إن لم يكن متصفًا بأخلاق القرآن، فإذا قرأ القرآن ناداه الله –تعالى– مالك وكلامي وأنت معرضٌ عني؟ دع عنك كلامي إن لم تتب إليّ. ومثال العاصي إذا قرأ القرآن وكرره، مثال من يكرر كتاب الملك كل يومٍ مرات وقد كتب إليه في عمارة مملكته وهو مشغولٌ بتخريبها، ومقتصرٍ على دراسة الكتاب. لذلك قال يوسف بن أسباط: "إني لأهم بقراءة القرآن فإذا ذكرت ما فيه خشيت المقت، فأعدل إلى التسبيح والاستغفار". طبعا يعدل إلى التسبيح والاستغفار حتى يتأهل لحمل تبعة القرآن، فابن القيم بيقول يا جماعة في موضوع الذكر؛ ذكر الله –عز وجل– إن بعض الناس يبدأ الذكر بلسانه، فاذا استحرَّ الذكر باللسان وافق القلب، وبعض الناس يبدأ الذكر بالقلب، فإذا استحرَّ بالقلب الذكر طفح على اللسان. الكلام ده كله بيقول لك إن لازم تمهيد قبل الشروع في العبادة، لازم يحصل تمهيد للصلاة، ولازم يحصل تمهيد لتلاوة القرآن، لازم يحصل تمهيد لذكر الله، ولازم يحصل تمهيد للصيام، وده كله شرع. يعني مسألة السحور تمهيد للصيام، السنن والنوافل اللي قبل الصلاة، بين كل أذانين صلاة، تمهيد للصلاة، الاستعاذة والبسملة قبل قراءة القرآن تمهيد لقراءة القرآن، بس ممكن احنا لأن الران تقل شوية، محتاجين تمهيد أطول شوية، عشان كده بيقول لك التسبيح والاستغفار، فيبدأ يسبح ويستغفر عشان يمهد لنفسه إنه يفتح كتاب

ربنا –سبحانه وتعالى–، يمهد لنفسه إنه يفتح كتاب ربنا بإنه يستغفر شوية الأول ويسبح شوية لحد القلب ما يفوق، والدماغ تحضر وبعد كده يبدأ يتلو كلام الله –سبحانه وتعالى–.

والمُعرِضُ عن العمل به أُريدِ بقوله –عز وجل–: "فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ" آل عمران:١٨٧. ولذلك قال رسول –صلى الله عليه وسلم–: "اقرأوا القرآنَ ما ائتلَفت عليه قلوبُكم، فإذا اختَلفتُم فلستم تقرأونه" وفي بعض الروايات "فإذا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عنْه" متفق عليه. قال تعالى: "الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" الأنفال:٢. وقال –صلى الله عليه وآله وسلم–: "إن أحسن الناس صوتًا بالقرآن من إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله"[1]، يبان عليه.

باتعجب من فرار الناس وراء الأصوات اللي بتغني، باتعجب، يا جماعة في فرق بين الغُنى والتلاوة تغنى بالقرآن كيف شئت مش مشكلة، لكن تلاوة القرآن لما تسمع قرآن متلو موضوع غير الغُنا، معلش أنا أكدت على المعنى دا أكتر من مرة، لما تسمع تلاوة الحصري ولا المنشاوي ولا مصطفى إسماعيل ولا البنا الناس المحترفين دول بتوع زمان، ومن المعاصرين زي عادل الكلباني من الناس اللي أنا سمعتهم برضه غير لما تسمع فلان وفلان وفلان اللي بيغنوا اللي أنت بتسمعهم اليومين دول، مش عايز أقول أسماء، فيه غُنا، غُنا غير تلاوة، الغنا حاجة والتلاوة حاجة، أنا ما بقولش أن الغُنا دا حرام ولا غلط إذا التزم بأحكام التجويد والقرآن، لكن أنا بقول إن التلاوة حاجة والغُنا حاجة تانية، وأنا باتعجب من المعجب بالغنا مش عارف ليه؟ المهم من إذا سمعتموه حسبتموه إيه؟ يخشى الله.

وقال بعض القراء: قرأت القرآن على شيخٍ لي، ثم رجعت لأن اقرأ ثانيًا فانتهرني وقال: جعلت القرآن عليّ عملًا، اذهب فاقرأ على الله –عز وجل– فانظر ماذا يأمرك وبماذا ينهاك، وبهذا كان شغل الصحابة –رضى الله عنهم– في الأحول والأعمال. فمات رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن عشرين ألف –هو بيقول عشرين ألف لأ، أبو زُرعة الرازي حقق أن الرسول مات عن ١٤٢ ألف، ابن حجر ذكر ١٢٤ ولا ١٤٢ في الإصابة فارجع للمسألة–. كانوا يحفظون القرآن، لما جاء واحد ليتعلم القرآن انتهى إلى قوله –عز وجل–: "فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ" الزلزلة:٧:٨. عايزين قلب المؤمن عُقَيب فهم الآية، واحد يقف على فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وواحد يقف على "أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ" الجاثية:٢١، وواحد يقف على "إِنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ" القمر:١٠، وواحد بيقرا لحد ما يوصل على فهم يؤدي إلى عمل.

أما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى، بل التالي باللسان المُعرض عن العمل جديرٌ بأن يكون هو المراد بقوله –تعالى–: "وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا" طه:١٢٤، وبقول الله –عز وجل–: "أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا" طه:١٢٦ أي تركتها ولم تعمل بها، فإن المقصر في الأمر يُقال إنه نسي الأمر. تلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحظ العقل الفهم وتفسير المعاني، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر، فيؤثر في الأعضاء بالانزجار والائتمار؛ فاللسان يرتل، والعقل يترجم، والقلب يتعظ، وهو الأمير، فيأمر الأعضاء فتنتهي. هو ده الناس اللي بتقرا القرآن.

التاسع: الترقي

وأعني به أن يترقّى إلى أن يسمع الكلام من الله –عز وجل– لا من نفسه.

فدرجات القرآن ثلاثٌ:

[1] روايات الحديث هنا

أدناها أن يُقدِّر العبد كأنه يقرأه على الله –عز وجل– واقفًا بين يديه وهو ناظرٌ إليه ومستمعٌ منه، فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال. يبقى موقفك في القرآن على تلات مراتب المرتبة الأولى: أن يستشعر الإنسان وهو يقرأ القرآن، أنه بيقرأ على الله –سبحانه وتعالى–، إنه واقف قدام ربنا وبيقرأ "حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ * أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ" الزخرف٤٣:١-٥، يبقى سؤال الله –عز وجل–، حظه في الوضع ده سؤال، تطلب، والتملق، والتضرع، والابتهال.

الثانية: أن يشهد بقلبه بأن الله –عز وجل– يراه، ويخاطبه بألطافه، ويناجيه بإنعامه وإحسانه، فمقامه مقام الحياء، والتعظيم، والإصغاء، والفهم. يبقى هو بيقرا القرآن –ده كلام ربنا– يبقى كأن ربنا –سبحانه وتعالى– بيكلمه: "وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ" النحل١٦:٥٦-٥٧. بيسمع من ربنا –كأنه– فيبقى مُستحي منكسر بين يدي الله –عز وجل–، مُصغي معظِّم لهذا الحال، يفهم عن الله ما يخاطبه به.

الدرجة الثالثة: ألا ينظر إلى نفسه، ولا إلى قراءته، ولا إلى تعلق الإنعام به من حيث أنه مُنعَم عليه، بل يكون مقصور الهم، موقوف الفكر على الله. هي دي صيام السر، أن يصوم القلب عن التفكر في غير الله، ودي درجة لها أهلها، حاول أن تترقى. ونسأل الله –عز وجل– أن ينفعنا بالقرآن.

العاشر: التبرّي

وأعني به أن يتبرأ من حوله وقوته، والالتفات إلى نفسه بعين الرضا والتزكية، فإذا تلا بآيات الوعيد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك، بل يشهد للموقنين والصدّيقين فيها، ويتشوق أن يُلحقه الله بهم. قال –سبحانه–: "فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ" النجم٥٣:٣٢. وإذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين، شهد على نفسه هناك، وقدَّر أنه المخاطب خوفًا وإشفاقًا، ولذلك لكان ابن عمر –رضى الله عنهما– يقول: اللهم إني أستغفرك لظلمي وكفري، فقيل له هذا الظلم فما بال الكفر؟ قال: قال –تعالى–: "إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ" إبراهيم١٤:٣٤.

قيل ليوسف بن أسباط: إذا قرأت القرآن بماذا تدعو؟ قال: استغفر الله –عز وجل– من تقصيري. لما اقرا القرآن استغفر ربنا من تقصيري في حق القرآن، مقصر، مازكيش نفسي، فإذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه، فإن من شهد البعد في القرب لُطِفَ به في الخوف، حتى يسوقه الخوف إلى درجة أخرى في القرب وراءها، ومن شهد القرب في البعد مُكِرَ به في الأمن الذي يُفضيه إلى درجةٍ أخرى في البعد أسفل مما هو فيه. كلام زي الفل ماتشوفش نفسك، ماتشوفش نفسك وكتير أكدنا على المعنى دا أوعى تغتر، أوعى تُعجب، أوعى تشوف إنك أنت حاجة، ومهما كان مشاهدًا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه عن الله.

كان الشافعي عليه –رحمة الله– يقول:

أحب الصالحين ولست منهم لعلي أن أنال بهم شفاعة
وأكره مَنْ تجارته المعاصي وإن كنا سواءً في البضاعة.

نعم، وكان يقول أيضًا –رحمه الله–:

فعين الرضا عن كل عين كليلةٌ كما أن عين السُخطِ تبدي المساويا

انتهوا العشرة نأكد عليهم مرة تانية.

وأولها: فهم عظمة الكلام، أن الكلام دا صفة من صفات الله –عز وجل– من صفاته المتكلم، فمن صفاته –سبحانه وتعالى– هذه الصفة، إن لم تسطر بالأصوات والحروف، بالحبر والأوراق لم يقوم لها شيء فافهم عظمة الكلام اللي إنت بتقوله ده.

اتنين: تعظيم المتكلم الله –سبحانه وتعالى–. تمرة تلاتة: حضور القلب إن القلب يحضر. أربعة: التدبر. وخمسة: التفهم. وستة: التخلص من موانع الفهم إن احنا نتخلص من الموانع اللي بتمنعنا من الفهم. سبعة: التخصيص إنك إنت تحس أن الكلام خاص ليك، أنت المخاطب به. تمانية: التأثر إن تبقى آية العذاب تأثر فيك بتأثير، وآية الرحمة تأثر فيك بتأثير تاني. تسعة: الترقي. وعشرة: التبري التبرؤ من الحول والقوة.

بنكتفي على هذا القدر لإتمام هذا الموضوع ونلتقي في اللقاء القادم إن شاء الله –عز وجل– وقدَّر، أحبكم في الله وأسأل الله –عز وجل– أن ينفعني وإياكم بالقرآن العظيم، وأن يجعله قرة أعيننا، ولذة أعمالنا، وحلاوة قلوبنا وقربنا منه –سبحانه وتعالى–.

اللهم ارزقنا لإخلاص في تلاوته وفهمنا القرآن، وعلمنا إياه. أحبكم في الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.